

الآفة التاسعة عشرة التسويق

والآفة التاسعة عشرة التي تصيب نفراً من العاملين ، بل لا يكاد يسلم منها إلا أصحاب الهمم العالية ، والإرادات القوية والعزائم الصادقة ، إنما هي : « التسويق » .

وحتى يتخلص منها من أصيبوا بها ، ويتقيها ، ويتجنبها من سلمهم الله - عز وجل - منها ، فإننا سنعرض لها بإذن الله من الجوانب التالية :

أولاً : تعريف التسويق :

لغة : التسويق لغة يطلق على معان عدة ، نذكر منها :

أ - التأخير والمماطلة ، يقال : سوف يسوف تسويقاً آخر ، وماطل ، يؤخر ، ويماطل ، تأخيراً ، ومماطلة ، وسوف حرف يدخل على الفعل المضارع ، فيخصصه للاستقبال ودلالته التأخير ، يقال : سوف أسافر .

ب - والتهويل ، يقال : سوف الأمر تسويقاً تعنى هوّله وضخم من شأنه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [١٧] ، [الأنعام] ، ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [٣] ، [الحجر] .

ج - والوعد ، يقال : سوف بالحسنة تسويقاً يعنى وعد بها مستقبلاً ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [٧٩] ، [النساء] ، ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [١٤٩] ، [النساء] .

د - والوعيد ، يقال : سوف بالسيئة تسويقاً ، يعنى توعد بها مستقبلاً ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكَرًا ﴾ [٨٧] ، [الكهف] ، ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [٥٩] ، [مريم] ^(١) .

(١) انظر : الصحاح في اللغة والعلوم ص ٥١٦ ، والمعجم الوجيز ص ٣٢٩ ، وبصائر ذوى التمييز ٣٧٨/٣ .

وعندى أنه لا تعارض بين هذه المعانى جميعاً ، إذ هى وعداً ، أو وعيداً أو تهويلاً إنما ترد إلى معنى التأخير أو التأجيل والمماطلة .

اصطلاحاً : أما معنى التسويف اصطلاحاً ، فهو المماطلة أو التأجيل على سبيل التهويل ، والتضخيم لتنفيذ المطلوب وعداً كان أو وعيداً .
ثانياً : وضع التسويف فى ميزان الإسلام مع بعض ما يدل عليه من سمات ومظاهر :

والتسويف بهذا المعنى ليس مذموماً كله وليس محموداً كله ، بل منه ما هو مذموم ، ومنه ما هو محمود .

فأما المذموم : فهو التأجيل أو التأخير لتنفيذ المطلوب بغير مبرر أو مقتضى ، وهو الذى نبه إليه الحق - تبارك وتعالى - بقوله : ﴿ وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقُ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١) [المنافقون] ، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [المؤمنون] ، ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) ﴾ [الفجر] ، ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَنْ تَقُولَ نَفْسُ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخَرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) ﴾ [الزمر] .

كما نبه إليه النبى ﷺ بقوله : « بادروا بالأعمال الصالحة سبعا : هل تنتظرون إلا فقراً منسياً ، أو غنى مطغياً ، أو مرضاً مفسداً ، أو هرمًا مفندا ، أو موتاً مجهزاً ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر » (١) ، « اغتتم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » (٢) .

وأما الم محمود : فهو التهويل أو الوعد والوعيد ، دفعا لفعل خير ، أو ترك شر ، أو ترقبا وانتظارا للحظة مناسبة ، وفرصة مواتية ، وبدلنا على حسن هذا النوع من التسويف وروده فى كلام الحق - تبارك وتعالى - فى كتابه الكريم ، إذ يقول سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ﴾ [النساء : ٣٠] ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا

(٢) الحديث سبق تخريجه ص ٨٣ .

(١) الحديث سبق تخريجه ص ٨٤ .

سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا ﴿ [النساء : ٥٦] ، ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿ [١٤٥] ﴿ [النساء] ، ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴿ [المائدة : ٥٤] ، ﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿ [١٢٣] ﴿ [الأعراف] ، ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿ [٣] ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿ [٤] ﴿ [التكاثر] .

كما يدلنا على حسن هذا النوع من التسويق ، وروده على لسان بعض الأنبياء كما حكى القرآن الكريم :

فقد طلب أولاد يعقوب من أبيهم أن يعفو عنهم وأن يستغفر لهم ربهم ، بعد أن أدركوا خطأهم الذي وقعوا فيه بشأن يوسف عليه السلام قائلين : ﴿ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿ [٩٧] ﴿ [يوسف] ، فردَّ عليهم قائلا : ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿ [٩٨] ﴿ [يوسف] .

ونصح نوح قومه ، فلما أعرضوا وكذبوا ، توعدهم قائلا : ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴿ [هود : ٣٩] ، ومثل ذلك صنع شعيب عليه السلام ، فقال : ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ﴿ [هود : ٩٣] .

وأما السمات أو المظاهر الدالة على التسويق فكثيرة نذكر منها :

١ - البقاء على المعصية مع الوعد بالتوبة بأن يقول العاصي : سوف أتوب ، أو سأتوب ، أو غداً أتوب ، وهكذا .

٢ - تأجيل عمل اليوم إلى الغد بغير مبرر ، ولا مقتضى ، بأن يقول المسلم : غداً أفعل كذا ، أو أنفذ كذا مما يلزم أن يكون فعله أو تنفيذه تَوْأً ، وحالا ، ولا يفعل ، ولا ينفذ . ومثاله من الواقع أن يكلف محاضر أو مربٍّ بالتحضير لموضوع ما قبله بوقت كاف ، ويظل يؤخره ويؤخره حتى يدخل عليه الوقت ، وما صنع شيئاً ، أو صنع شيئاً ولكنه لا يذكر . . . وهكذا .

ثالثاً : أسباب التسويق :

والأسباب أو البواعث التي توقع في التسويق كثيرة نذكر منها :

١ - الأسرة التي تبنى حياتها على التسويق أو تدليل الأولاد :

إذ قد ينشأ المسلم في أسرة بنت حياتها على التسويق ، فالأب ، والأم ، والأجداد ، والإخوة الكبار غارقون من مفرق رؤوسهم إلى أخمص أقدامهم في

الأخطاء، ويعدون بالتغيير ولا تغيير، ولهم أمانى طويلة ، وعريضة ، ولا تنفذ ولا تطبق ، وقد تبنى الأسرة حياتها على تدليل الأولاد القائم على الحنو والشفقة المجاوزين للحد ، فيندفع الابن إلى أداء المعروف محاكاة للكبار، فتمنعه الأسرة من أداء هذا المعروف بحجة صغره وعدم إطاقته ، وتعهده بإفصاح المجال له في المستقبل ، ويتكرر ذلك في كل مرة ، حتى يرث هذا الابن خلق التسويف .

ولعلنا في ضوء هذا السبب نفهم السر في تأكيده ﷺ على ضرورة الوفاء للأولاد إذا تم وعدهم بشيء ، وإلا كان ذلك تعويداً للأولاد على الكذب ، نظراً لأنه تسويف والتسويف أوسع أبواب الكذب ، إذ يقول عبد الله بن عامر: دعنتى أمى يوماً ، ورسول الله ﷺ قاعد فى بيتنا ، فقالت : ها تعال أعطيك ، فقال لها رسول الله ﷺ : « وما أردت أن تعطيه ؟ » ، قالت : أعطيه تمرًا ، فقال لها رسول الله ﷺ : « أما إنك لو لم تعطيه شيئاً ، كتبت عليك كذبة » (١) .

كما نفهم فى ضوء هذا السبب أيضاً حزم الأنصار مع أولادهم دفْعاً لهم إلى المبادرة بفعل المعروف، وقطع الطريق على التسويف وخصوصاً فى تعويدهم على الصوم منذ نعومة أظفارهم ، إذ تقول الربيع بنت معوذ : أرسل النبى ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: «من أصبح مفطراً فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائماً فليصم»، قالت: فكنا نصومه بعد ، ونصوم صبيانا ، ونجعل لهم اللعبة من العهن (٢) ، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار (٣) ، وفى رواية : فإذا سألونا الطعام أعطيناهم اللعبة تلهيهم حتى يتموا صومهم (٤) .

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب فى التشديد فى الكذب ٢٩٨/٤ رقم (٤٩٩١) قال : حدثنا قتيبة ، حدثنا الليث عن ابن عجلان ، أن رجلاً من موالى عبد الله بن عامر بن ربيعة العدوى حدثه ، عن عبد الله بن عامر ، وساق الحديث ، وأحمد فى : المسند ٤٤٧/٣ بنفس الإسناد ، ومولى عبد الله مجهول .

(٢) العهن هنا : هو الصوف الملون ، انظر : النهاية فى غريب الحديث والأثر ١٤٢/٣ .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الصوم : باب صوم الصبيان ٤٨/٣ ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الصيام : باب من أكل فى عاشوراء فليكيف بقية يومه ٧٩٨/٢ ، ٧٩٩ رقم (١١٣٦) كلاهما من حديث الربيع بنت معوذ بن عمرو عا به وب نحوه .

(٤) هذه الرواية أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الصيام : باب من أكل فى عاشوراء فليكيف بقية يومه ٩٩٧/٢ رقم (١١٣٦) من حديث خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ بهذا اللفظ .

وعن رزينة أن النبي ﷺ كان يأمر مرضعاته في عاشوراء ، ورضعاء فاطمة ، فيثفل في أفواههم ويأمر أمهاتهم ألا يرضعن إلى الليل^(١) .

٢ - صحة الكسالى والمسوفين :

وقد تكون صحة الكسالى ، والمسوفين هي السبب في التسويق ، ولا سيما إذا كانت هذه الصحة قبل إيجاد الحصانة التي تحول دون انتقال عدوى الكسل والتسويق . ولعل هذا هو السر في تأكيد الإسلام على الصحة الطيبة، ونبذ ما عداها، إذ جاء في الحديث قوله ﷺ: « لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي »^(٢) .

٣ - ضعف الإرادة أو الكسل والتراخي مع النفس :

وقد يكون ضعف الإرادة، وفطور العزيمة، ونزول الهمة، أو الكسل والتراخي مع النفس سبباً من الأسباب التي تؤدي إلى التسويق، فمثلاً بينما الواجب ينادى المسلم ويلج عليه إذ يدعوه ضعف الإرادة وفطور العزيمة ، ونزول الهمة ، أو الكسل والتراخي مع النفس إلى القعود عن أداء هذا الواجب بحجة أن في الغد فسحة أو فرصة .

ولعلنا في ضوء هذا السبب نفهم استعاذته ﷺ بالدائمة من العجز والكسل، إذ كان كثيراً ما يدعو في الصباح والمساء بهذا الدعاء : « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن ، والههم ... »^(٣) ، وفي رواية ثانية : « اللهم إني أعوذ بك من

(١) الحديث أورده الحافظ ابن حجر في : فتح الباري شرح صحيح البخارى ٢٠١/٤ ، وعزاه إلى ابن خزيمة في : صحيحه ، قائلا : « وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه ، وتوقف في صحته » . ثم عقب عليه بقوله : « إسناده لا بأس به » .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في : السنن : كتاب الأدب : باب من يؤمر أن يجالس ٢٥٩/٤ ، رقم (٤٨٣٢) ، والترمذى في : السنن : كتاب الزهد : باب ما جاء في صحة المؤمن ٥١٩/٤ رقم (٢٣٩٥) كلاهما من حديث أبى سعيد الخدرى مرفوعاً بهذا اللفظ ، وعقب الترمذى عليه بقوله : « هذا حديث حسن إنما نعرفه من هذا الوجه » .

(٣) الحديث أخرجه البخارى في : الصحيح : كتاب الجهاد : باب ما يتعوذ من الجبن ٢٨/٤ ، وكتاب التفسير : سورة النحل : باب قوله تعالى : ﴿ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤْذِلْ إِلَى أَرْدَلِ الْغَمْرِ ﴾ ١٠٣/٦ ، وكتاب الدعوات : باب التعوذ من فتنه الحيا والممات ٩٨/٨ ، وباب التعوذ من أردل العمر ٩٩/٨ ، من حديث أنس بن مالك مرفوعاً بهذا اللفظ وبنحوه، وباب التعوذ من المأثم والمغرم ٩٨/٨ من حديث عائشة مرفوعاً بنحوه، ومسلم في : الصحيح : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار : باب التعوذ من العجز والكسل وغيره ٢٠٧٩/٤ ، ٢٠٨٠ ، رقم (٢٧٠٦) من حديث أنس بن مالك مرفوعاً ، وباب التعوذ من شر ما عمل ، ومن شر ما لم يعمل ٢٠٨٨/٤ رقم (٢٧٢٢) من حديث زيد بن أرقم مرفوعاً بنحوه ، وأبو داود في : السنن : كتاب الصلاة : باب في الاستعاذة ٩٠/٢ رقم (١٥٤٠) من حديث أنس بن مالك مرفوعاً به وبنحوه، والترمذى في : السنن : كتاب الدعوات : باب منه ٤٨٦/٥ رقم (٣٤٨٤) من حديث عمرو بن

الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين، وغلبة الرجال» (١)، وفي رواية ثالثة: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال» (٢).

٤ - أمن مكر الله :

وقد يكون أمن مكر الله سبباً من الأسباب التي توقع في التسويف ، إذ الإنسان مجبول على المبادرة والإسراع بأداء ما يطلب منه عندما يخاف ، وعلى التواني والتفريط إذا أمن ، ولقد أشار رب العزة إلى هذا السبب عند حديثه عن الكفار ومضيهم في كفرهم وباطلهم ، فقال سبحانه : ﴿ أَفَأَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ (٩٧) أَوْ أَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴾ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٩٩) [الاعراف] ، ﴿ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ (١٠٠) أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ (١٠١) [الملك] ، ﴿ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ

= أبي عمرو مولى المطلب عن أنس بن مالك مرفوعاً ، وعقب عليه بقوله : « هذا حديث غريب من هذا الوجه ، من حديث عمرو بن أبي عمرو » ، ورقم (٣٤٨٥) من حديث أنس أيضاً ، وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن صحيح » ، والنسائي في : السنن الكبرى : كتاب الاستعاذة : باب الاستعاذة من البخل ، وباب الاستعاذة من الهم ، وباب الاستعاذة من الحزن ، وباب الاستعاذة من الكسل ، وباب الاستعاذة من العجز ٤/٤٤٧ - ٤٥٠ رقم (٧٨٨١ ، ٧٨٨٤ - ٧٨٨٨ ، ٧٨٩٠ ، ٧٨٩٢ ، ٧٨٩٤) من حديث أنس بن مالك مرفوعاً به ، وبنحوه ، وابن ماجه في : السنن : كتاب الدعاء : باب ما تعود منه رسول الله ﷺ ٢/١٢٦٢ رقم (٣٨٣٨) من حديث عائشة مرفوعاً بنحوه ، وأحمد في : المسند ٣/ ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢١٤ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٦٤ ، من حديث أنس بن مالك مرفوعاً به ، وبنحوه ٤/٣٧١ من حديث زيد بن أرقم مرفوعاً بنحوه .

(١) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الدعوات : باب التعوذ من غلبة الرجال ٨/٩٦ ، ٩٧ من حديث أنس بن مالك مرفوعاً بهذا اللفظ ، وباب الاستعاذة من الجبن والكسل ٨/٩٨ من حديث عائشة مرفوعاً ، وأبو داود في : السنن : كتاب الصلاة : باب في الاستعاذة ٢/٩٠ رقم (١٥٤١) ، وكتاب الحروف والقراءات : باب منه ٤/٣١ رقم (٣٩٧٢) من حديث أنس بلفظه ، وبنحوه ، مطولاً ، ومختصراً ، والترمذي في : السنن : كتاب الدعوات : باب منه ٥/٤٨٦ رقم (٣٤٨٤) ، وقد تقدمت الإشارة إليه في الحديث الذي قبله ، والنسائي في : السنن الكبرى : كتاب الاستعاذة : باب الاستعاذة من الحزن ٤/٤٤٩ رقم (٧٨٩٠) من حديث أنس مرفوعاً به ، وأحمد في : المسند ٣/ ١٥٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٦ ، ٢٤٠ من حديث أنس بن مالك مرفوعاً .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في : السنن : كتاب الصلاة : باب في الاستعاذة ٢/٩٣ رقم (١٥٥٥) من حديث أبي سعيد الخدري ، عن أبي أمامة - رجل من الأنصار - في قصة طويلة مشهورة أن النبي ﷺ قال له : « قل إذا أصبحت وإذا أميت : اللهم ... » الحديث ، إلا أن في إسناده غسان بن عوف وهو بصري وقد ضعف .

غَاشِيَةً مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيهِمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ [يوسف] ، ﴿ أَفَأَمْتُمْ أَن يَخْصِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴾ (٦٨) أَمْ أَمْتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾ (٦٩) [الإسراء] .

٥ - طول الأمل مع نسيان الموت والدار الآخرة :

وقد يكون طول الأمل مع نسيان الموت والدار الآخرة من الأسباب التي تؤدي إلى التسوية .

يقول الإمام أبو حامد الغزالي في تصوير هذا السبب : « اعلم أن من له أخوان غائبان ، و ينتظر قدوم أحدهما في غدٍ ، و ينتظر الآخر بعد شهر أو سنة ، فلا يستعد للذي يقدم إلى شهر أو سنة ، وإنما يستعد للذي ينتظر قدومه غدًا ، فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار ، فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة ، اشتغل بالمدة ، ونسى ما وراء المدة ، ثم يصبح كل يوم ، وهو منتظر للسنة بكمالها ، لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل أبدًا ، فإنه أبدًا يرى لنفسه متسعًا في تلك السنة ، فيؤخر العمل » (١) .

ويقول الحافظ ابن الجوزي في تصوير نفس السبب : « يجب على من لا يدري متى يبعثه الموت أن يكون مستعدًا ، ولا يغتر بالشباب ، والصحة ، فإن أقل من يموت الأشياء ، وأكثر من يموت الشبان ، ولهذا يندر من يكبر ، وقد أنشدوا :

يُعَمَّرُ واحد ، فَيَغُرُّ قومًا وَيُنْسَى من يموت من الشباب

ومن الاعتزاز طول الأمل ، وما من آفة أعظم منه ، فإنه لولا طول الأمل ما وقع إهمال أصلا ، وإنما يقدم المعاصي ، ويؤخر التوبة لطول الأمل ، وتبادر الشهوات ، وتنسى الإنابة لطول الأمل » (٢) .

ولعل هذا السبب يفسر لنا تحذيره ﷺ من طول الأمل ، والركون إلى الدنيا ، والغفلة عن الآخرة ، فقد خط ﷺ خطا مربعا ، وخط خطأ في الوسط خارجا منه ، وخط خطأ صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط ، وقال : « هذا الإنسان ، وهذا أجله محيط به ، أو قد أحاط به ، وهذا الذي هو خارج أمله ،

(١) انظر : إحياء علوم الدين للغزالي ٣٩١/٤ ، وعنه نقل خلدون الأحدث في : سوانح وتاملات في قيمة الزمن ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) انظر : صيد الخاطر لابن الجوزي ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

وهذه الخطط الصغار الأعراض^(١) ، فإن أخطأه هذا نهشه هذا ، وإن أخطأه هذا نهشه هذا « (٢) .

٦ - الاستهانة بالأمر مع اعتماد المرء على بعض ما وهبه الله من حول وقوة :

وقد تكون الاستهانة بالأمر مع اعتماد المرء على بعض ما وهبه الله من حول وقوة هي السبب في التسويف .

ولعل خير ما يشرح هذا السبب ويجليه ، قصة كعب بن مالك رضي الله عنه وتخلفه عن غزوة تبوك ، إذ يحكى عن نفسه ، فيقول : « ... كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ، ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة ، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط ، حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا وري بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ، ومغزاً ، وعدوا كثيراً ، فجلى للمسلمين أمرهم ، ليتأهبوا أهبة غزوهم ، فأخبرهم بوجهه الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ، ولا يجمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان - قال كعب : فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له ، ما لم ينزل فيه وحى الله ، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار ، والظلال ، وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، فطفقت أععدو لى أتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض شيئاً ، فأقول في نفسي أنا قادر عليه ، فلم يزل يتمادى بى ، حتى اشتد بالناس الجد ، فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازى شيئاً ، فقلت : أتجهز بعده بيوم ، أو يومين ، ثم ألحقهم فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز ، فرجعت ولم أقض شيئاً ثم غدوت ، ثم رجعت ، ولم أقض شيئاً ، فلم يزل بى حتى أسرعوا وتفارط الغزو وهممت أن أرحل فأدركهم - وليتنى فعلت - فلم يقدر لى ذلك « (٣) .

(١) الأعراض : هي الآفات العارضة للإنسان ، بحيث إذا سلم من آفة لم يسلم من الأخرى ، وإن سلم من

الجميع لم يسلم من مياغة الأجل أو الموت ، انظر : فتح الباري لابن حجر ١١ / ٢٣٨ .

(٢) الحديث أخرجه البخارى في : الصحيح : كتاب الرقاق : باب الأمل وطوله ١١٠ / ٨ ، ١١١ ، والترمذى

في : السنن : كتاب القيامة : باب منه ٥٤٨ / ٤ رقم (٢٤٥٤) ، وابن ماجه في : السنن : كتاب الزهد :

باب الأمل والأجل ١٤١٤ / ٢ رقم (٤٢٣١) ، والدارمى في : السنن : كتاب الرقاق : باب في الأمل

والأجل ٣٠٤ / ٢ ، وأحمد في : المسند ٣٨٥ / ١ كلهم من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعاً ، واللفظ

للبخارى ، وعقب الترمذى على روايته قائلا : « هذا حديث صحيح » .

(٣) الحديث أخرجه البخارى في : الصحيح : كتاب الجهاد : باب من أراد غزوة فورى بغيرها ٥٨ / ٤ ، ٥٩ ،

وكتاب المغازى : باب غزوة تبوك ٣ / ٥ - ٩ ، ومسلم في : الصحيح : كتاب التوبة : باب حديث توبة

كعب بن مالك وصاحبه ٢١٢٠ / ٤ - ٢١٢٩ رقم (٢٧٦٩) ، وأبو داود في : السنن : كتاب الجهاد : باب

المكر في الحرب ٤٣ / ٣ رقم (٢٦٣٧) ، والدارمى في : السنن : كتاب السير : باب في الحرب خدعة

٦٦٧ / ٢ رقم (٢٣٥٩) كلهم من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه مطولاً ومختصراً .

٧ - التسوية على عفو الله ومغفرته مع نسيان شدة أخذه وعقابه :

وقد يكون التسوية على عفو الله ، ومغفرته ، مع نسيان شدة أخذه سبحانه ، وعقابه ، هو السبب فى الوقوع فى آفة التسوية ، وقد سبق الحافظ ابن الجوزى إلى هذا السبب ، فقال - بعد أن ذكر سببين للتسوية :

(. . . والثالث : رجاء الرحمة ، فىرى العاصى يقول : ربى رحيم وينسى أنه شديد العقاب ، ولو علم أن رحمته ليست رقة ، إذ لو كانت كذلك لما ذبح عصفور ، ولا ألم طفلاً ، وعقابه غير مأمون ، فإنه شرع قطع اليد الشريفة بسرقة خمسة قراريط) (١) .

٨ - عدم المتابعة والمحاسبة من الآخرين :

وقد يكون السبب فى التسوية إنما هو عدم المتابعة والمحاسبة من الآخرين ، ذلك أن المسلمين بعضهم أولياء بعض ، ومقتضى هذه الولاية أن ينصح بعضهم بعضاً ، وأن يتابع بعضهم بعضاً بل أن يحاسب بعضهم بعضاً ، وهذا هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر المشار إليهما فى قوله سبحانه : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة : ٧١] .

وعندما تغيب هذه الولاية من حياة المسلمين ، فلا تكون متابعة ، ولا محاسبة ، يتجرأ الناس على الإهمال ويقع التسوية .

٩ - الانغماس فى المعاصى والسيئات :

وقد يكون الانغماس فى المعاصى والسيئات إنما هو السبب فى التسوية ، ذلك أن كثرة المعاصى والسيئات ، تقسى القلب ، وتهون من شأن هذه المعاصى ، وتلك السيئات ، الأمر الذى يمكن أن يؤدى إلى الإهمال ، والوقوع فى التسوية .

ولقد ألمح إلى ذلك رسول الله ﷺ عندما قال : « . . . وإن الفاجر يرى ذنوبه ، كذباب مر على أنفه فقال به هكذا » (٢) .

١٠ - عدم تقدير العواقب والآثار المترتبة على التسوية :

وأخيراً ، قد يكون عدم تقدير العواقب والآثار المترتبة على التسوية إنما هو السبب

(١) انظر : صيد الخاطر لابن الجوزى ص ٣٠٤ .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الدعوات : باب التوبة ٨٣/٨ ، ٨٤ ، والترمذى فى : السنن : كتاب صفة القيامة : باب منه ٥٦٨/٤ رقم (٢٤٩٧) ، وأحمد فى : المسند ٣٨٣/١ . كلهم من حديث عبد الله بن مسعود ؓ به .

فى الوقوع فى هذا التسويف ، ذلك أن الإنسان مجبول على تأخير الشيء ، والتوانى فيه ، إذا لم يقدر عواقبه الوخيمة ، وآثاره السيئة ، ولعل ذلك من بين الأسباب التى أدت إلى أن تكون أكثر أحكام ديننا الحنيف معللة مقرونة بحكمة التشريع .

رابعاً : آثار التسويف :

وللتسويف آثار ضارة ، وعواقب وخيمة ، سواء على العاملين ، أو على العمل الإسلامى ، ودونك طرقاً من هذه الآثار ، وتلك العواقب :

أ - على العاملين :

أما آثار التسويف على العاملين فكثيرة ، نذكر منها :

١ - الحسرة والندم فى وقت لا تنفع فيه الحسرة والندم :

ذلك أن المسوف يقضى دهره متعدياً على حدود الله ، مفرطاً فى جنبه حتى إذا جاءه الموت ، وكشف عنه الغطاء ، وعاین الأمور على حقيقتها يتحسر ويندم ، ويتمنى التأخير ، أو الرجعة إلى الدنيا ليتدارك أمره ، وأنى له ذلك ، وقد ضاعت منه الفرصة وفات الأوان ، يقول تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُعْتَوْنَ (١٠٠) ﴾ [المؤمنون] ، ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِى إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقُ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٦) وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٧) ﴾ [المنافقون] ، ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) ﴾ [الانعام] .

٢ - الحرمان من الأجر والثواب :

وهو كذلك بتعديه على حدود الله ، وتفريطه فى جنبه سبحانه حرم نفسه من كثير من الأجر والثواب ، وما قيمة الإنسان غداً إذا لقي ربه بغير أجر ولا مثوبة ، إن قيمته إذن أن يكون من أصحاب الجحيم ، وتلك هى الخسارة الحقيقية ، وصدق الله الذى يقول : ﴿ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (٥٥) لَهُمْ مِنْ فِرْقِهِمْ ظُلٌّ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلٌّ ﴾ [الزمر] ، ﴿ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ (٤٥) ﴾ [الشورى] .

٣- تراكم الذنوب ، وصعوبة التوبة :

والتسوية يؤدي إلى تراكم الذنوب ، وإذا تراكمت الذنوب ثقلت على المرء ، وحر حيرة شديدة ، بأنها يبدأ ، وبأنها ينتهي ، الأمر الذي يؤول به إلى استئقال التوبة وصعوبتها وواقع العصاة والمذنبين في كل عصر ومصر خير شاهد على ذلك .

٤- تراكم الأعمال ، وصعوبة الأداء :

وقد يؤدي التسوية إلى تراكم الأعمال ، وتراحم الأعباء ، فلا يدري المرء أيها يقدم ، وأيها يؤخر ، ومن ثم يشتت فكره ويضيع سعيه ، ويصبح أمره فرطاً ، ولا يمكن أن ينجز واجباً من الواجبات .

٥- ضياع الهيبة ، وعدم القدرة على التأثير في الناس :

وهو بتعديه على حدود الله ، وتفريطه في جنبه سبحانه وعدم قيامه بواجبه نحو ربه ، ونحو نفسه ، وذويه ، ونحو أمته ، تضيع هيئته من صدور الناس ، ولا يتمكن من إتقان أى عمل من الأعمال ، الأمر الذي يفقده القدرة على التأثير في الناس ، وإذا ضاعت هيبة المسلم من صدور الناس فقد القدرة على التأثير فيهم ، واستوى معهم ، وكيف يستوى معهم ، والمفروض أنه إمامهم ، ورائدهم كما قال سبحانه :

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة : ١٤٣] ، ﴿مَلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج : ٧٨] .

ب- على العمل الإسلامي :

وأما آثار التسوية على العمل الإسلامي فكثيرة أيضاً ، ونذكر منها :

١- تطويق العمل الإسلامي :

الأمر الذي يؤدي إلى طول الطريق وكثرة التكاليف ، ذلك أن التسوية ينتهي بأصحابه إلى ضياع الهيبة ، وفقدان عنصر التأثير في الناس كما قدمنا ، الأمر الذي يطمع العدو ، ويقلل من الأنصار ، وبذلك يسهل تطويق هذا العمل ، وتكثر التكاليف وتطول الطريق .

٢- الحرمان من العون والمدد الإلهي :

وذلك أن من سنته سبحانه في خلقه أنه لا يمنحهم عوناً ولا مدده وهم مسوفون ،

متعدون على حدود الله ، مفرطون فى جنبه سبحانه ، وإذا حرم العمل الإسلامى عونه ومدده سبحانه ، فعلى هذا العمل السلام ، ولن يصل إلى مبتغاه ، وإن تعلق بأسباب السماء .

خامساً : علاج التسويف :

وما دمنا قد وقفنا على ماهية ومظاهر وأسباب وآثار التسويف ، فإنه يسهل علينا الآن أن نسعى نحو العلاج ، والوقاية ، بل أن نصف هذا العلاج وهذه الوقاية ، وذلك على النحو التالى :

١ - أخذ النفس بالحزم ، وقوة العزيمة ، ولأن تتعب النفس اليوم لتستريح غداً ، خير لها من أن تستريح اليوم ، وتتعب غداً ، وأيضاً لأن مكر الله غير مأمون ، والموت يأتى بغتة ، وإذا لم يأت بغتة فإنه يسبقه المرض ، ثم يكون الموت ، وهو سبحانه يقول : ﴿ وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بغتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (٥٥) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ ﴾ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَىٰ الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥٨) بَلَىٰ قَدْ جَاءَكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٥٩) [الزمر] .

٢ - تذكير النفس دوماً بأن التسويف عجز وضعف ، وخور ، وليس من سمات المسلم العجز ، والضعف ، والخور ، بل إن الإنسان إذا كان معترساً بإنسانيته فإنه يأبى عليها هذه الأوصاف ، وإن مثل هذا التذكير إن كان صادقاً ، وانفعلت به النفس ، فإنه سيقودها حتماً إلى التشمير ، والمصارعة بترك المحظور والمكروه ، وفعل المأمور والمحجوب ، ورضى الله عن سيدنا عمر حين قال : « من القوة ألا تؤخر عمل اليوم إلى الغد » (١) .

٣ - دوام الدعاء والضراعة إلى الله - عز وجل - بالتححرر من العجز والكسل على نحو ما قدمنا فى دعاء وضراعة النبى ﷺ فى الصباح والمساء ، فإن الدعاء هو العبادة ، وهو سبحانه يقول : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٦٠) [غافر] ، ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (٦٦) [البقرة] .

(١) الخبر سبق تخريجه فى الجزء الأول ، أفة : « التفريط فى عمل اليوم والليلة » .

٤ - أن تأخذ البيوت نفسها بالحزم والعزم حتى لا تفسد الناشئة من الأولاد ، وعلى الأولاد من جانب آخر أن يشبوا على تعلم وتعاليم الكتاب والسنة ، وأن يزنوا كل تصرف بهما ، فما وافقهما فهو الحق ، وعليهم اتباعه ، وما خالفهما فهو الباطل ، وعليهم اجتنابه .

٥ - الانسلاخ من صحبة الكسالى ، والمسوفين ، والارتقاء بين يدي ذوى الحزم ، والعزم ، والقوة ، فإن ذلك من شأنه أن يحمل على مجاهدة النفس وأخذها بالحزم ، والعزم ، والقوة .

٦ - دوام معايشة الكتاب والسنة ، فإن هذه المعاشة تكون سبباً فى معرفة الله حق المعرفة ، وإذا عرف المسلم ربه حق المعرفة قضى عمره ، وكأنما يمشى على الجمر ، بحيث لا تمر عليه لحظة إلا وهو فيها مؤدى ما عليه ، مستعد للقاء الله - عز وجل .

٧ - الاحتراز من المعاصي والسيئات بألا يقع فيها المسلم أصلاً ، وإن وقع بادر بالتوبة ، فإن أكثر التسوية مبعثه الانغماس فى المعاصي والسيئات على النحو الذى ذكرنا فى الأسباب ، بل ويشفع ذلك بمزيد من الطاعات : فرائض ، ونوافل حتى تلين الجلود ، والجوارح ، وترق القلوب بذكر الله ، فتتشط النفس من عقالها ، وتتخلص من التسوية .

٨ - تذكر الموت والدار الآخرة على الدوام ، فإن مثل هذا التذكر مما يقلل عمر الدنيا فى نظر المسلم ، ويهون من شأن زخرفها ، وزهرتها ، وزينتها ، ويحمل على المبادرة بالتوبة ، وأداء الحقوق لذويها ، وإن ثقل الحمل ، وعظمت التكاليف .

٩ - معايشة السلف فى نظرتهم إلى التسوية ، ونفورهم منه نفوراً شديداً قولاً ، وفعلاً ، فكراً ، وسلوكاً ، وسبق قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : « من القوة ألا تؤخر عمل اليوم إلى الغد » (١) .

وهذا عمر بن عبد العزيز رحمته الله وقد فرغ من دفن سليمان بن عبد الملك الخليفة الذى كان قبله ، وانتهى من الخطبة التى افتتح بها حكمه بعد أن بايعه الناس ، ينزل عن المنبر ويتجه إلى بيته ، ويأوى إلى حجرته يتغى أن يصيب ساعة من الراحة بعد هذا الجهد ، وذلك العناية اللذين كان فيهما منذ وفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك .

(١) الخبر سبق تخريجه فى الجزء الأول ، أفة : « التفريط فى عمل اليوم والليلة » .

وما يكاد يسلم جنبه إلى مضجعه حتى يقبل عليه ولده عبد الملك - وكان يومئذ يتجه نحو السابعة عشرة من عمره - ويقول له : ماذا تريد أن تصنع يا أمير المؤمنين ؟ فقال : يا بنى ، أريد أن أغفو قليلا ، فلم تبق فى جسدى طاقة ، فقال : أنغفو قبل أن ترد المظالم إلى أهلها يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أى بنى ، إني قد سهرت البارحة فى عمك سليمان ، وإنى إذا حان الظهر صليت فى الناس ، ورددت المظالم إلى أهلها إن شاء الله ، فقال : ومن لك يا أمير المؤمنين بأن تعيش إلى الظهر ؟ فألهبت هذه الكلمة عزيمة عمر ، وأطارت النوم من عينيه وبعثت القوة والعزم فى جسده المتعب ، وقال : ادن منى أى بنى ، فدنا منه ، فضمه إليه ، وقبل ما بين عينيه ، وقال : الحمد لله الذى أخرج من صلبى ، من يعيننى على دينى ، ثم قام ، وأمر أن ينادى فى الناس : ألا من كانت له مظلمة فليرفعها (١) .

وقال لقمان لابنه : يا بنى ، لا تؤخر التوبة ، فإن الموت يأتى بغتة ، ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسوية ، كان بين خطرتين عظيمين ، أحدهما : أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصى ، حتى يصير ريتاً وطبعاً فلا يقبل المحو ، الثانى : أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو (٢) .

وعن أبى إسحاق قال : قيل لرجل من عبد القيس فى مرضه : أوصنا قال : أنذرتكم سوف (٣) .

وأوصى ثمامة بن بجاد السلمى قومه ، فقال : أى قوم ، أنذرتكم سوف أعمل ، سوف أصلى ، سوف أصوم (٤) .

ويقول الحسن البصرى رحمه الله إياك والتسوية ، فإنك بيومك ، ولست بغدك ، قال : فإن يكن غد لك ، فكس فيه - أى اعمل عملاً تكون به كساً - كما كس فى اليوم ، وإلا يكن الغد لك ، لم تندم على ما فرطت فى اليوم (٥) .

وقال المنذر : سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه : ويحك ، بادرى قبل أن يأتيك ، ويحك بادرى قبل أن يأتيك الأمر - حتى كرر ذلك ستين مرة أسمعها ، ولا يرانى (٦) .

(١) انظر : صور من حياة التابعين للدكتور عبد الرحمن الباشا ١/١٣٨ - ١٤٤ بتصرف .

(٢) انظر : إحياء علوم الدين للغزالي ١٢/٤ .

(٣) الأثر أخرجه ابن المبارك فى : الزهد : باب التحفيض على طاعة الله - عز وجل - ص ٥ بهذا اللفظ .

(٤) الأثر أخرجه ابن المبارك فى : الزهد ص ٥ بهذا اللفظ .

(٥) الأثر أخرجه ابن المبارك فى : الزهد ص ٤ بهذا اللفظ .

(٦) انظر : إحياء علوم الدين للغزالي ٤/٣٩٢ ، وعنه نقل خلدون الأحدث فى : سوانح وتأملات ص ٤٨ .

واجتهد سيدنا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قبل موته ، اجتهداً شديداً ، ففيل له : لو أمسكت ، أو رفقت بنفسك بعض الرفق ، فقال : إن الخيل إذا أرسلت فقاربت رأس مجراها ، أخرجت جميع ما عندها ، والذي بقى من أجلى أقل من ذلك ، قال : فلم يزل حتى مات ^(١) .

١٠ - أن تقوم الأمة كلها على المستوى القيادي ، وغير القيادي ، في متابعة ومحاسبة المسوفين ، فإن هذه المتابعة ، وتلك المحاسبة ، تقطع الطريق على النفس ، وتحول بينها وبين التسويق ، وهذا من حق الأمة على بعضها البعض وصدق الله العظيم : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [التوبة : ٧١] .

١١ - عدم الاستهانة بأى أمر من الأمور ، وإن كان هذا الأمر بسيطاً ، واليقين بأن الأمر كله لله ، والفرصة التى فى يدك الآن قد تضيع منك غداً .

١٢ - التذكير الدائب بالعواقب والآثار المترتبة على التسويق ، فإن هذا التذكير من شأنه أن يشحذ الهمم ، والعزائم ، وأن يقضى على التسويق عند من كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد .

(١) انظر : إحياء علوم الدين للغزالي ٣٩٢/٤ ، وعنه نقل خلدون الأحذب فى : سوانح وتأملات ص ٤٨ .